الهجوم الكبير

في ٨ أيلول ١٩٧٤ بدأ النظام بهجوم واسع النطاق على حوض رواندز في جبهتين، واحدة من ناحية جبل (گورَز) الى منطقة بالَك. وأخرى من (كورَك) الى بيخال إلاّ أنّ الهجوم احبط واصيبت القوات الحكومية بهزيمة ساحقة وإرتدت الى الخلف تاركة في ساحة القتال نحواً من أربعمائة جثة.

في هذا اليوم خسرت الثورة ستة من الشهداء.

وابلت مدفعية الثورة بقيادة (حالي دُولومَري) أحسن البلاء وكان لها السهم الوافر في إحباط هجوم العدو. إلاّ أنّ النظام عاود الكرة ولم يقتنع بما أصابه وكان الهجوم بقيادة اللواء الركن إسماعيل تايه النعيمي إلا أنه لم يفُز بطائل حتى يوم ١٩ أيلول.

وفي هذا اليوم شن العدو هجوماً معداً وفق خطة فاقت تصورنا فقد أرسلوا ليلاً البلدوزرات الثقيلة الى أسفل جبل كورَك ما بينه وبين بيخال فأزاحت كتل الصخور وفتحت طريقاً لانحدار الدبابات. وقبل طلوع الفجر نزلت الدبابات من القمة الى ما وراء بيخال ولم تجد أمامها مقاومة اذ لم يكن يدور في خلد أحد أنْ تغدو هذه المنطقة في يوم من الأيام ساحة صالحة للقتال فأهملت طوال الحرب ولم يشعر البيشمرگه بالوطأة إلاّ بعد أنْ وصل رتل الدبابات الطريق العام المؤدي الى بيخال من رواندز. وقاد العملية المقدم الركن عبدالوهاب وبها تغير وجه المعركة وأصبح الموقف خطيراً اذ اضطر البيشمرگه الى ترك (جبل گورَز) والإنسحاب وراء ديانا والى أن يتركوا من ناحية بيخال سفح جبل كورَك وينسحبوا الى (بنه كاول وبَرزيوه) وبهذا عادت الجبهة الى هَندرين وزوزك وگرو عمر آغا ودولي (وادي) آكويان كما كانت في السابق. وفي بيتواته شن النظام هجوماً كبيراً على جبل ماكوك ودوله رَقَه وغايته تخفيف الضغط على قواته في رواندز بتحويل قسم من البيشمرگه الى تلك المنطقة. وهي خطة تعبوية سليمة ففي حالة إحتلال دوله رَقَه وسائر المنطقة ستكون القوات الحكومية في وضع يساعدها على تشديد الضغط والهجوم على جبل رواندز من الناحية الشرقية.

لا أدري ماذا كانت مكافأة النظام للمقدم عبدالوهاب الذي تفتق ذهنه الوقّاد عن إستخدام البلدوزرات لتمهيد الطريق لحركة الدبابات. في نظري انه يستحق كل التكريم

والإعتراف بعبقريته العسكرية.

في يوم ٢٣ أيلول اسقطت طائرة ميگ ١٩ في بَرزيوه بنيران رشاشة ٥ ,١٤ وأسر قائدها الملازم الأول صفاء شلال.

عاد الجيش لإحتلال حوض رواندز وبقيت العمليات الحربية قاصرة على إطلاق نيران المدفعية والقصف الجوي. والظاهر أنّ النظام كان يتهيأ لهجوم جديد.

صواريخ مضادة للطائرات ومدفعية إيرانية

زاد حجم المعارك وأصبح هدف النظام واضحاً وهو الإستيلاء على مقر القيادة والسيطرة على طريق (هاملتون) وهو الطريق الذي كانت تأتي منه المساعدات من الخارج عن طريق إيران ومن إيران نفسها وكان الهدف قطع هذا الشريان الحيوي الذي يمدُّ الثورة بعنصر حياتها.

الا أنّ محاولات النظام التمهيدية للسيطرة على جبلي زوزك وهَندرين باءت بالفشل. لكن القصف المدفعي وغارات الطائرات لم تدع للپيشمرگه ولا للأهالي راحة. وهنا اظهرت إيران إستعدادها لإرسال كتيبة مدفعية عيار ١٣٠ ملم وبطاريتي صواريخ (راپيير) ضد الطائرات لترصين جبهة رواندز.

في اليوم الثاني من تشرين ١٩٧٤ وصلت هذه المساعدة الى كردستان وليتها لم تأت، تلك حقيقة لابد من قولها ولا سبيل الى كتمانها فبمجيء هذه الصواريخ والمدافع، وضع الپيشمرگه كل إعتمادهم عليها عندما حلّت ساعة الإمتحان رغم عدم جدواها كما تبيّن إذ لم تقم بدور فعال فلم تعد الطائرات تحلق على مستوى واطيء لتكون بمنال الصواريخ كما أنّ قصف المدفعية الإيرانية الأرضي لم يكن دقيقاً ولا مؤثراً. ولندخل في الحسبان أنّ من جملة صفقات السلاح التي عقدها النظام مع السوڤيت كان عدد من طائرات توپوليف المتطورة. مع ذلك ففي يوم ١٤ من كانون الأول ١٩٧٤ اصابت إحدى صواريخنا طائرة من نوع بادجر TU16 فسقطت في وادي خوشكا وقتل كلّ طاقمها المؤلف من أربعة.

في اليوم التالي اصاب الپيشمرگه بقذيفة دوشكا طائرة أخرى من نوع سوخوي رقم ٧ وسقطت في بَرزيوه ونجا قائدها. وقد سبق أنْ اصاب هؤلاء ايضاً طائرة من نوع

(هوكر هنتر) فسقطت وقتل قائدها الملازم الطيار هاشم القدّو. وأحدث هذا أثره في التخفيف من الغارات الجوية إلاّ أنّها لم تتوقف.

المعارك الأرضية في أيلول وتشرين الأول ١٩٧٤

في ٣ أيلول ١٩٧٤ تقدم اللواء الثالث بقيادة العقيد الركن حامد الدليمي تسانده كتيبة دبابات. وشن هجوماً على گرو عمر آغا وبعد معركة ضارية استمرت ثماني ساعات أُبيد اللواء بكامله وتخلّف في ساحة القتال ٢٣٠ جثة ولايعلم عدد الجرحى وحطمت أربع دبابات بقذائف مدافع ضد الدبابات من عيار ١٠٦، وكانت فصيلة من البيشمرگه الشبان قد دربت عليها فحققوا مأثرتهم هذه بجرأة وشجاعة تستحق التسجيل.

توالت الهجمات والمعارك واستبسل البيشمرگه فعلاً بدفاعهم عن المواقع أمام قوات متفوقة استخدم فيها العدوّ ناراً كثيفةً من المدفعية والغارات الجوية بالقنابل الفسفورية الحارقة التي احدثت بالبيشمرگه خسارةً كبيرة. وبأواخر الشهر العاشر أتمّ العدو إحتلال جبلي (زوزك وسَرتيز) إلاّ أنّه لم يتقدم في جبل هَندرين وشنَّ البيشمرگه هجوماً مقابلاً بقيادة حميد أفندي كان من نتيجته إستعادة (سَرتيز) وجعلها مقبرةً للواء التاسع والعشرين. ثم أقبل فصل الشتاء واعتور الوهن الفعاليات العسكرية ولم يحاول العدوّ هجوماً كبيراً بسبب سوء الطقس وسقوط الثلوج.

أرى لزاماً عليّ التنويه بالبطولات التي أبداها البيشمرگه في صدّ هجمات القوات الحكومية التي شنّت هجوماً مدعماً بقوة جوية كبيرة وبوحدات من المدفعية والدبابات المتطورة - لاسيّما وقفة پيشمرگه هيز بالَك العنيدة التي صمدت أمام موجات من الهجمات الشرسة حتى أنجدتها قوات من هيزات خَبات وكاوه وكركوك وأزمر وسَفين وزاخو. لقد إستمات هؤلاء البواسل وإختلطت دماء هؤلاء القادمين من شتى أرجاء كردستان بعضها ببعض على ذرى جبال هَندرين وزوزك وسَرتيز وحسن بگ وكورَك وگورَز. وأذاقوا المهاجمين نكالاً في كلّ شبرٍ إنتزعوه من هذه التربة. وصدّت وحدات ضد الدبابات بمدافع ١٠٦ وصواريخ ساگر هجمات الدبابات العنيفة.

كانت خطوط البيشمرگه الدفاعية في هذه الفترة تبدأ من گرْيَبيش ثم سَري حسن بگ

وسَري بَرد. وقد حالت دون تقدم آخر للعدو وأصبح (سَرتيز) أرضاً حراماً بين الفريقين واعتمدت قيادة الثورة خطةً عسكرية يجري تنفيذها بعد ختام فصل الشتاء وكانت تقضي بالقيام بهجوم عام على منطقتي كوركَ وگورَز وإنتزاعهما. وبذلك يتم تطويق جميع القوات الحكومية المحتشدة في حوض رواندز ولايعود لها سبيل للنجاة ويتم أسرها كافةً.

واتخذت التدابير والإستعدادات لذلك ونوقش ادق التفاصيل وكانت خطة محكمة لاحظَّ لها من الفشل. وكأن النظام كان يعلم بما يبيَّت له فسبق وعقد إتفاقية الجزائر. وحاول خلال ذلك التقدم الى جبل ماكوك وشيشار في جبهته فرد على اعقابه بهجوم مقابل من الپيشمرگه. وفي منطقة قلعهدزه هاجم الپيشمرگه مقر اللواء في (توه سوران) في ٣ أيلول ١٩٧٤ وكادوا يستولون على المعسكر كله إلاّ أنّهم لم يكملوا الهجوم بسبب إستشهاد قائده البطل (عزالدين قره محمد). فإنسحبوا.

بالرغم من أنّ الحكومة رمت بكامل ثقل قواتها وأسلحتها في ميدان المعركة الرئيسية في جبهة بالَك، إلاّ أنّها لم تحقق مكاسب عسكرية تذكر، إذ أنّ مكسبها الوحيد في حوض رواندز كان إحتلال جبل زوزك في حين لم تستطع إحتلال جبل هَندرين حيث أنّ الجبليْن يشكلان المدخل الى منطقة بالَك. وثمة خمس مراحل أخرى مماثلة لزوزك وهَندرين قبل الوصول الى حاجي عمران والحدود الإيرانية، وحتى لو تمّ ذلك فإنّه كان سيضعف الثورة ولكنه لايعني نهايتها بأيّ حالٍ من الأحوال.

من ناحية أخرى صرّح قادة النظام فيما بعد أنّ الجيش العراقي تكبّد ستين ألف إصابة، ولم يبقَ لديه سوى بضعة قنابل وكان هذا سراً لايعرفه إلاّ ثلاثة وهم أحمد حسن البكر وصدام حسين ورئيس أركان الجيش.

صحيح أنّ ضغط الحكومة على منطقة بالَك أخلّ الى حدٍّ ما بميزان القوة، لكنّ المأزق الذي وقع فيه الجيش العراقي كان أكبر بكثير من المأزق الذي وقعت فيه الثورة.

ونرى من المفيد أن نثبت هنا التقرير الذي رفعه جهاز الپاراستن الى قيادة الثورة المؤرخ في ١٥ تشرين الأول ١٩٧٤ بعنوان تقرير عام عن الوضع في العراق:

الوضع العسكري

١- إن كثرة الخسائر في صفوف قوات الجيش خلقت جواً متوتراً داخل صفوف الحكم البعثي ويلقي الجيش اللوم على صدام التكريتي حيث يصرح ضباط الجيش علناً أن صدام يريد التخلص من الجيش ومن الأكراد في آن واحد ولايخفون تذمرهم وإستيائهم من الوضع الراهن. ويصرح قادة الجيش أن صدام خدعهم في بداية القتال حيث طمأنهم أن القتال سوف لايدوم أكثر من ثلاثة أشهر يتم فيها القضاء على الثورة الكردية. وأشاع حزب البعث في الآونة الأخيرة بين صفوف الجيش أن إنقلاباً عسكرياً موالياً للشيوعيين سيحدث في إيران خلال شهر تشرين الثاني المقبل. ولايزال صدام وقيادة حزب البعث مصرين على إستمرار القتال مهما كانت التضحيات.

٢- حاول صدام وبذل جهوداً كبيرة ليتسلم هو مسؤولية وزارة الدفاع إلاّ أنّ البكر أصرّ على توليه شخصياً هذا المنصب ويشاع الآن أن البكر ينوي إسناد منصب وزير الدفاع الى إبن أخته المدعو حميد التكريتي.

٣- وصلت للجيش من روسيا ملابس شتوية من النوع الذي يلبسه الجيش الروسي في المناطق الباردة وذلك لمساعدة الجيش العراقي في الإحتفاظ بمواقعه الحالية في الشتاء. ويحلل المطلعون هذا الإجراء في أنه إجراء يهدف الى عدم عودة الجيش الى ثكناته في وسط وجنوب العراق لتلافي وقوع أيّ إنقلاب على نظام البعث.

٤- خطة الجيش الآتية تتلخص في النقاط التالية:

أ- الإستمرار في هجومهم على منطقة بالَك.

ب- التقدم الى منطقة جبل حسن بگ بعد إحتلال گرو عمر آغا لقطع الإتصال بين هذه المنطقة ومنطقة دهوك والموصل.

ج- بعد إحتلال جبلي زوزك وهَندرين التقدم من بَرزيوه بالدبابات في الطريق العام.

ل- الإستمرار في هجومهم من منطقة رانيه من سلسلة جبل ماكوك وجبل كيوَرَش حتى إحتلال قرية وَرتي وعند ذلك ستقع منطقة بالَك تحت أنظارهم وإعتباراً

من ديلمان- قَسري- گلاله- بيشه تعتبر منطقة تحت سيطرة العدو ويجب الإنتقال الى شمال الخط المذكور أعلاه.

إن الفكرة السائدة لدى البعث هو تنفيذ هذه الخطة مهما بلغت التضحيات والخسائر.

الوضع السياسي

١- يؤكد قادة حزب البعث أنهم أنهوا الترتيبات اللازمة بالتعاون مع جهات أخرى للقيام بإنقلاب عسكري في إيران وموعد الإنقلاب هو شهر تشرين الثاني نوفمبر المقبل وفي ١٤-٩-١٩٧٤ كان الملحق العسكري العراقي في طهران قد عاد الى بغداد لبحث تفاصيل هذا الموضوع مع قادته.

٢- إعلان تشكيل المجلس التنفيذي لما يسمى بالمجلس التشريعي من جانب البعث خلق جواً من التساؤلات لدى مختلف طبقات الشعب العراقي من العرب والأكراد حول ما ستتخذه قيادة الثورة الكردية من إجراء سياسي معاكس حيث ينتظر الشعب برمته أن تعلن قيادة الثورة عن موقفها وإجرائها مقابل إجراء البعث. ولو مرّ هذا الإجراء البعثي دون رد فسيكون له تأثير سيّء جداً ويقوي موقف البعث.

٣- تحاول حكومة البعث جعل القضية الكردية بين العرب والأكراد وسيثير البكر الموضوع في مؤتمر القمة العربي المقبل لكسب تأييد تلك الدول.

٤- علاقة البعث بالشيوعيين الموالين لموسكو جيدة ظاهرياً. مع أن البعث هو المستغل للشيوعيين لحد الآن وقد فقد الحزب الشيوعي الكثير من قواعدهم بسبب موقفهم المؤيد للبعث دون أن يكون له رأي في أي شيء. وإنهم متفقون على حساب الأكراد. ومن جهة أخرى فإن سلطات البعث تطارد الشيوعيين الموالين للصين وتفتك بهم حيث تجدهم. وقتل حتى الآن عدد كبير منهم في الوسط والجنوب. ولاتزال الهوة بعيدة بين البعث والجهات القومية والوطنية الأخرى.

٥- تحسنت علاقات العراق مع بعض دول الخليج الفارسي وبالأخص مع إمارة أبوظبي. ونشاط البعث في تقدم مستمر هناك. وتفيد بعض المعلومات أن العراق سيثير المشاكل مع الكويت من جديد.

النشاط الروسي والمعسكر الإشتراكي في العراق

١- يلاحظ بشكل واضح إزدياد الخبراء الروس داخل الجيش وكذلك الخبراء الألمان والچيكوسلوڤاكيين بشكل خاص.

٢- تأكد بشكل لايقبل الشك أن الروس أخذوا يشتركون فعلياً لإسناد الجيش العراقي في حربه ضد الشعب الكردي والحوادث التالية دليل على ذلك:

أ- في ٢٠-٨-١٩٧٤ عندما شنت القوات العراقية هجوماً بالدبابات على كورَك وحوض راوندوز كان الخبير الروسي العقيد ألكسندر فاسيليف بالإشتراك مع اللواء الركن إسماعيل النعيمي يشرفان على العملية من جبل كورَك.

ب- الطيارون الروس يقودون طائرات TU22 وSU20 في قصف كردستان ومنهم الطيارون التالية أسماؤهم: الرائد كرافجنكو، الرائد ديفيدنكو، الرائد يوري، الرائد لونيا، الرائد فولوديا، الرائد فكتور.

ج- العميد الطيار نيكولاي فلاديمير يرأس مجموعة من الخبراء الروس في مقر قيادة القوة الجوية العراقية ويشرف على عمليات القصف الجوي في كردستان والتنسيق بين القوة الجوية والقوات البرية.

بالطبع ربما لاتكون هذه الأسماء صحيحة ولكن بهذه الأسماء يُعرف هؤلاء الخبراء داخل الجيش.

وقد أكد الطيار العراقي الأسير أن تدريب الطيارين العراقيين على طائرات TU22 وSU20 لم ينتهِ بعد.

٣- عمليات نقل المهمات العسكرية من روسيا الى العراق بطريق البحر والبر مستمرة وفي تزايد.

٤- إزداد عدد الخبراء الألمان الشرقيين والجيكوسلوفاكيين بشكل خاص من بين الدول الشيوعية الأخرى وقد وصلت كميات كبيرة من لوريات إيفا وسيارات تاترا وكذلك ناقلات جنود وجسور عسكرية وذخيرة حربية من صنع الدولتين المذكورتين.